التيار العقلاني : (rationalisme)

العقلانية: هي اتجاه فكري يرى أن العقل هو المصدر الأول للمعرفة والأداة الأساسية في البرهنة والمقياس الذي نميز به بين الأفكار الصحيحة والأفكار الخاطئة، وبين الأفعال الخيرة، الأفعال السيئة، والمنبر الوحيد الذي نطل به على الحقيقة.

من رواد هذا المذهب سبينوزا، و مالبرانش، ولا بينيتيز ويعتبر رينيه ديكارت(1596-1650) مؤسس التيار العقلاني، وهو فيلسوف فرنسي وعالم رياضيات وفيزيائي وعالم فيزيولوجيا، وفي مبحث المعرفة يرى أن العقلانية ترتكز عنده على مبدأ الشك المنهجي أو الشك العقلي، الشك الذي يرمي الى تحرير العقل من المسبقات وسائل السلطات المرجعية ومن سلطة السلف، الشك الذي يؤدي إلى الحقيقة عن طريق البداهة العقلية كالحدس التحليل التركيب.

لقد قام ديكارت وفق أسس الشك المنهجي والبداهة العقلية يقينه الأول من مبدأه البسيط الذي عرفناه من خلاله " أنا أفكر إذا أنا موجود " هذا المبدأ الأول هو بداية كل فكر عقلاني، وهو ما سنجده مضمرا وصريحا في الفلسفة العقلانية عموما إنه المبدأ الذي وضع الذات والموضوع في علاقة ضرورية ديالكتيكية وأساس مبدأ وحدة الفكر والوجود.

إن معرفة الإنسان لهذا الوجود يكون وفق العقل الذي يحرك كل شيء نحو النور الذي يضيء الحياة، وهو الحاكم للأمور والحاسم بين التناقضات والله عز وجل كرمنا بالعقل على سائر موجودات كدلالة على أن العقل هو ميزان معرفة صدق الأشياء، فالعقل قوة فطرية لدى جميع الناس فيحصلون منه المعارف و يطمئنون إليها، ويدركون به الوجود يقول ديكارت" إن من الممكن أن لا يكون جسمي موجودا فمن الجائز أن تكون هناك روح خبيثة أوجدتني على حالة أظن بها أن لي جسما بينما لا املكه في الواقع، ولكن اعلم يقينا انني انا الذات المفكرة والشاكة لست وهما بل موجودا أنا أفكر إذا أنا موجود"

ولكي يكون العقل مصدر وأساس المعرفة ففي العقل مبادئ فطرية، وقبلية سابقة عن كل تجربة و ليست متولدة من الحس يقول سبينوزا" إن العقل ليس مادة ولا المادة فكرا وليست عملية الدماغ سببا كما انها ليست نتيجة أو أثرا" وهذه المبادئ واضحة وبسيطة لا يشبهها الخطأ عليها تنشأ المعرفة وتتكون الأفكار الصحيحة، مثل مبدأ الهوية القائل إن الشيء هو دائما ذاته ولا يكون شيئا أخر ومبدأ عدم التناقض القائل إن المتناقضين لا يجتمعان معا ومبدأ العلية القائل ان لكل علة معلول ولكل معلول علة، ومن الأفكار الفطرية البديهية فكرة وجود الله ووجود الذات....

بل نجد أن الوحي جاء يخاطب العقل ولادين لمن لا عقل له مما يؤكد أولوية العقل وأسبقيته في المعرفة عن التجربة، فيه يميز الإنسان بين الخير والشر وله القدرة على الاستدلال والبرهان وبه حصل هذا التقدم والتطور على مستوى العالم عبر التاريخ والعقل يدرك الحقائق الكلية التي هي ضرورية شاملة والواقع يوحي بالجزئيات التي تزودنا بها الحواس و أحكام العقل كليات فالحواس لا تشكل لنا معرفة دون العقل، لأنه لو كان كذلك لكان الحيوان أحق بها إذن، فالحواس تخدعنا دون تدخل العقل وتصورات العقل مجردة وليست مادية وكذلك فان الأخلاق تستمد قواعدها الأولى من العقل كمسألة التعريف بين متناقضات الحياة كالخير والشر والحق والباطل والعدل والظلم وكذلك في الحقائق الإلهية كفكرة الله هو الخالق تستمد من العقل لأنه في طبيعة العقل الخير ما يجعله خيرا ولا يمكن للإرادة البشرية أن تغير في ذلك من شيء ويعتقد سبينوزا أن الفضيلة في نظر سقراط وأفلاطون وأرسطو هي العقل.

إذا فمعرفتنا بحقيقة الأمور تكون نتاج لنشاط العقل وليست الحواس التي ترى المادي والجزئي ولا تدرك الكلي والمجرد وهي مصدر غير موثوق وهذا ما نراه في الخداع البصري ألا نرى السماء ملتصقة بالبحر لما ننظر في الأفق؟ ألا تبدو لنا العصا المغموسة في الماء منكسرة ؟ ألا نرى حجم الجسم يكبر كلما يقترب منا ويصغر كل ما يبتعد عنا فالحقيقة إذا ليست ما نراه بحواسنا بل ما نتصور بعقولنا فالحقائق الأولية كالأوليات الرياضية والمنطقية تدرك بالعقل عن طريق الحدس من غير مقدمات والحدس نور فطري ومعرفة

مباشرة ليست مسبوقة بمقدمات كقضية الكل أكبر من جزئه، وان ثلاثة عدد فردي، وان المستقيم ليس معوج وان الجسم ممتد....الخ يقول ديكارت إن حدس البداهة أقوى من الاستنتاج ذاته ويقول سبينوزا " إن العقل يجد شكله الأسمى والأصح في الحدس".

خطوط النزاع بين التيار العقلي والتيار التجريبي الحسي:

العقليون يرون أن في العقل مبادئ سابقة على التجربة بواسطتها يستطيع اكتساب المعرفة عن العالم الخارجي، بل هو يفرض عليه مبادئه وقوانينه، ومن هذه المبادئ يقول ديكارت إن هذه المبادئ واضحة جدا و باستطاعتنا ان نستنبط منها جميع الحقائق الأخرى" والمعرفة العقلية في نظرهم هي المعرفة الحقيقية وتتصف بثلاث صفات أساسية: فهي معرفة مطلقة ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان، وضرورية (واضحة بذاتها تفرض نفسها بشكل حتمي وغير احتمالية) ثم معرفة كلية (أي عامة مشتركة بين الناس جميعا) ويتعارض العقليون والتجريبيون الحسيون في هذه الرؤية فالعقليون يزعمون أننا نستطيع عن طريق الحدس العقلي أن نحصل على رؤية صحيحة للحقائق صحة كلية تتعلق على سبيل المثال بالله والطبيعة البشرية والأخلاق أما التجريبين ينكرون وجود حدس عقلي يعطينا مثل تلك المعرفة، فهم يتمسكون بالنظرة التي تقول اننا لا نكسب معرفة إلا بواسطة الخبرة الحسية، وفضلا عن ذلك نكسب رؤية عن طريق تحليلات التصورات والاستنباط كما في المنطق والرياضيات ولكن هذه الرؤى لا تعلمنا شيئا عن الصفات الجوهرية. يرى العقليون أننا بامكاننا إدراك الواقع بواسطة التصورات وحدها في حين يرى التجريبيون المعرفة مبنية على الخبرة الحسية (انطباعات حسية)

اختلف أيضا المذهبان في فكرة الوضوح حيث كانت نظرتهما إليه مختلفتان فالعقليون قالوا ان الواضح هو واضح بذاته وهنا يدخل ضمن الحدس العقلي اي عندما يبدو شيء واضحا تاما كما لو أن وضوحه ذاتي بحسب ذلك الحدس فان ما يقوله الحدس لنا هو صدق أما التجريبيون الحسيون فقد نشدوا الواضح بمعنى

ما يمكن ملاحظته ويمكن فحصه تجريبيا بمعنى انسجامه مع الاستعمال اللغوي العادي وكانوا يشكون بما يوصف بانه واضح.